



الكرسي الرسولي

رشف عبالا نوال ابا لاسادق عطف

يهل لاسادق لاس

دامرلا عا عبالا ي

2026 رياربف/طابش 18

ان يباس عس ي دقلا كيلي زاب

[Multimedia]

في بداية كل زمن ليتورجي، نكتشف بفرح متجدد دائما نعمة كوننا كنيسة، جماعة مدعوة إلى أن تصغي إلى كلمة الله. لقد بلغنا صوت النبي يوييل، وهو صوت يخرج كل واحد من عزلته ويجعل من التوبة أمرا ملحا لا ينفصل فيه البعد الشخصي عن البعد الجماعي: "اجمعوا الشعب وقديسوا الجماعة، واجمعوا الشيوخ، واجمعوا الأطفال وراضعي الأثداء" (يوييل 2، 16). ويذكر أناسا قد يبدو من السهل تبرير غيابهم: الأضعفين والأقل قدرة على المشاركة في التجمعات الكبيرة. ثم يذكر النبي العريس والعروس: وكأنه يدعوهم ليخرجا من ألفتهم حتى يشعرا بأنهما جزء من جماعة أكبر منهما. بعد ذلك يأتي دور الكهنة، الذين هم أصلا موجودون، بحكم الواجب، "بين الرواق والمذبح" (الآية 17). هم مدعوون إلى أن يبكوا وإلى أن يجدوا الكلام المناسب للجميع فيقولوا: "أشفق يا رب على شعبي" (الآية 17).

الزمن الأربعيني، اليوم أيضا، هو زمن خاص للجماعة: "اجمعوا الشعب وقديسوا الجماعة" (يوييل 2، 16). نحن نعلم كم صار من الصعب اليوم أن نجتمع الناس ونشعر بأننا شعب واحد، لا في إطار القومية والعدوانية، بل في وحدة وشركة يجد فيها كل واحد مكانه. إننا نرى هنا شعبا يتكون وهو يعترف بخطاياها، أي يعترف بأن الشر لم يأت من أعداء مفترضين، بل من قلوبهم، وهو متغلغل في حياتهم ويجب مواجهته بشجاعة ومسؤولية. يجب أن نعترف بأن هذا الموقف يسير عكس التيار، لكنه، في حين أنه من الطبيعي جدا أن نعلن عجزنا أمام عالم يحترق، فهو بديل حقيقي، ومستقيم وجذاب. نعم، الكنيسة موجودة لتكون أيضا نبوءة لجماعات تعترف بخطاياها.

بالطبع، الخطيئة هي خطيئة شخص فرد، لكنها تتكون في البيئات الواقعية والافتراضية التي نذهب إليها باستمرار، وفي المواقف التي تؤثر بها بعضنا في بعض، وقد تكون غالبا في ما يمكن تسميته بـ"الخطيئة في بني المجتمع" ذات الطابع الاقتصادي والثقافي والسياسي وحتى الديني. إن معارضة الله الحي لعبادة الأصنام، كما يعلمنا الكتاب المقدس، تعني أن نجرؤ ونطلب الحرية ونستعيد لها من جديد بعملية خروج من مجتمعنا والانطلاق في مسيرة. لا أن نبقي مشلولين، مجمدين، واثقين بمواقفنا، بل نجتمع ونتحرك ونغير. ما أندر أن نجد بالغين يتوبون، أو

اليوم، هذه هي الإمكانية التي نواجهها. وليس من قبيل الصدفة أن شباباً كثيرين، حتى في البيئات العلمانية، يشعرون أكثر من السابق ببدء هذا اليوم، يوم أربعاء الرماد. في الواقع، الشباب هم الذين يدركون بوضوح أن أسلوب عيش فيه مزيد من العدل ممكن، وأن هناك مسؤولية تقع على عاتقهم أمام ما هو ليس سليماً في الكنيسة وفي العالم. لذلك، من الضروري أن نبدأ من حيث نستطيع ومع من هو مستعد. "هاهؤذا الآن وقت القبول الحسن، وهاهؤذا الآن يوم الخلاص" (2 كورنتس 6، 2). ومن ثم نشعر بالبعد الإرسالي للزمن الأربعيني، ليس لئلهنا عن العمل على أنفسنا، بل ليفتح قلوبنا فنرى الكثيرين القلقين وذوي الإرادة الصالحة الذين يبحثون عن طرق من أجل حياة حقيقية متجددة، وعلى الأفق أمامنا ملكوت الله وبره.

"لماذا يُقال في الشعوب: أين إلههم؟" (يوئيل 2، 17). سؤال النبي أشبه بوخزة حادة. وهو يذكّرنا أيضاً بالأفكار التي تقلقنا وتظهر لدى الذين يراقبون شعب الله من الخارج. في الواقع، الزمن الأربعيني يدعونا إلى تلك التحوّلات الجذرية، فنحوّل وجهة مسيرتنا، وتزيد المصادقية في رسالتنا.

قبل ستين سنة، بعد أسابيع قليلة من ختام المجمع الفاتيكاني الثاني، أراد القديس البابا بولس السادس أن يحتفل علناً برتبة الرماد، فجعلها مرئية للجميع، بمقابلة عامة في بازيليك القديس بطرس، وهي العلامة التي نريد نحن القيام بها اليوم أيضاً. قال إنها رتبة توبة "جديّة ومؤثّرة" (بولس السادس، مقابلة عامة، 23 شباط/فبراير 1966)، التي تصدم المواقف العامة، وفي الوقت نفسه تمسّ قضايا الثقافة. قال: "قد تتساءل: نحن المعاصرين، أما زالت هذه التربية مفهومة؟ نجيب بالإيجاب. لأنها نهج تربوي واقعي. إنها دعوة جادة إلى الحقيقة. وهي تعيدنا من جديد إلى الرؤية الصحيحة لحياتنا ومصيرنا".

قال البابا بولس السادس إن "النهج التربوي المبني على التوبة" "يفاجئ الإنسان المعاصر من جانين": الأول هو "قدرته الهائلة على الوهم، وعلى الإيحاء الذاتي، وعلى خداع نفسه بصورة منهجية بشأن واقع الحياة وقيمها". والجانب الثاني هو "التشاؤم الجوهري" الذي لاحظته البابا مونتيني في كل مكان. قال: "معظم ما تقدّمه لنا اليوم الوثائق الإنسانية من فلسفة وأدب ووسائل ترفيه، ينتهي بها الأمر إلى إعلان حتمية زوال كل شيء، وحزن الحياة العميق، وفلسفة اللامعنى والعدم. كل هذا يدافع عن معنى الرماد".

اليوم يمكننا أن ندرك النبوءة التي كانت في هذه الكلمات، وفي الرماد الذي يوضع على جباهنا نشعر بثقل عالم يحترق، ومدن كاملة تدمرها الحروب، ورماد القانون الدولي والعدل بين الشعوب، ورماد أنظمة كاملة في البيئة، ورماد الانسجام بين البشر، ورماد فكر يتنقد، وحكمة قديمة محلية، ورماد الشعور بالمقدس الساكن في كل خليفة.

الشعوب تسأل: "أين إلههم؟". نعم، أيها الأعزّاء، التاريخ يسألنا، وقبل التاريخ ضمائرنا تسألنا: إننا نسمي الموت باسمه، ونحمل علاماته على أنفسنا، لكننا نشهد لقيامه الربّ من بين الأموات. أن نعترف بخطايانا حتى نتوب عنها هو أصلاً بشارة وشهادة لقيامه الربّ من بين الأموات: في الواقع، هذا يعني ألا نبقى في الرماد، بل نهض ونبنى من جديد. إذًا الثلاثة الفصحية، التي سنحتفل بها في قمة مسيرة الزمن الأربعيني، ستفيض علينا بكل جمالها ومعناها. وستفيض علينا عندما تشرّكنّا، بالتوبة، في العبور من الموت إلى الحياة، ومن العجز الذي فينا إلى إمكانيات الله.

لهذا يتألّق الشّهداء، القدامى والمعاصرون، رواداً لمسيرتنا نحو الفصح. التقليد الروماني القديم الذي حدّد "محطات الزمن الأربعيني" (stationes quaresimali)، ومحطّتنا اليوم هي أولها، يحمل طابعاً تربوياً: فهو يشير إلى أننا نسير حجاجاً، وإلى توقّفنا في كل محطة (statio) عند "ذكرى" الشّهداء الذين بُنيت على ذكراهم الكنائس البازيليكا في روما. أليس في ذلك دعوة لنا لتفسير على خطى شهادات الإيمان المدهشة المنتشرة اليوم في كل العالم؟ حتى نعرف الأماكن والقصص والأسماء للذين اختاروا طريق التطويبات وعاشوها حتى النهاية. إنهم عدد لا يحصى من البذار التي هيّأت الحصاد الوافر الذي يقع علينا اليوم أن نجمعه، حتى إذا بدت البذار كأنها ضائعة، ومدفونة في الأرض. الزمن الأربعيني، كما أوحى لنا الإنجيل، يحرّنا من الرّغبة في الظهور مهما كانت الطّروف (راجع متى 6، 2. 5. 16)، ويعلمنا بدلاً من ذلك أن نرى ما يولد وما ينمو، وبدفعنا إلى الاهتمام به وخدمته. هذا هو الانسجام العميق الذي يقوم في سرّ الذين يصومون ويصلّون ويحبّون إله الحياة، أبانا وأبا الجميع. إليه نوجّه من جديد كل كيانتنا وكل قلبنا، بقناعة وفرح.

© 2026 ناكيتافلا ةرضاح - ةظوفحم قوقحلا عيمج

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana